أضواء
على منهج ابن هشام الأنصاري
في الدراسات النحوية

بقلم

أ.د/ محمد محمد فهمي عمر
عميد الكلية

أضـــواء
على منهج ابن هشـام الانصـارى
فى الدراســات النحـوية

الحمد لله رب العالمين ، أحمده حمد العارفين بفضـله ، وأشكره شـكر العاجـزين عن احصـاء فيض كرمه ، وأصلى وأسـلم على أفصح العرب منطقا ، وأقومهم لسانا سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين باحسان الى يوم الدين .. وبعـد .

ففى هـذا البحث نقتطف ثمرة من ثمـار تراثنا العربى ، هـذا التراث الذى يموج بمختلف ألوان المعرفة الانسانية التى احتوتها حضارة الاسلام وتمثلتها ونمتها وأضافت اليهـا ، وقـدمت للبشرية أخصب ما عرفته فى عصورها السالفة .

وقد امتد هـذا التراث خلال القرون المـاضية بساير الحياة ، وترى فيـه الأجيال قيمة من أهم قيم حياتها ، فهو تراث ينتل لها لغة كتابها الكريم ، وحديث خاتم النبيين .

وفى سبيل المحافظة على هذين الأصلين قامت علوم كثـيرة فى التفسير والقراءات والفقـه وأصوله ، والحديث وعلومه ، واللغـة والأدب ، والتاريخ والأخبار والأنساب وغيرها من العلوم .

- عرض هـذا البحث للحوار فى نادى القصـيم الأدبى بالمملكة العربية السعودية

فى ١٥ من صفر ١٤١٠هـ

- وقام بالحوار

الأستاذ الدكتور / فخـر الدين قبـاوة

الأستاذ فى جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ـ فرع القصيم

الأستاذ الدكتور / عبد الله عـلى

الأستاذ المشارك فى كلية التربية للبنات فى القصيم

الباحث

د/ محـمد محـمد فهمى عمر

ولقد خاطب هذان الأصلان فى نفس المسلم الفطرة النقية ليبلغا بها غاية الامكان الخلقي والحضارى ، ومن ثم شهدت عواصم العالم الاسلامى حركة علمية نشطة فى مختلف المجالات كان من أهمها العناية بلغة العرب التى هى لغة الاسلام ، فقامت الدراسات النحوية والصرفية وانتشرت ، وعنى بها أصحابها ، فقعدوا القواعد متتبعين فى ذلك اللسان العربى الفصيح ، وتعاقبت الأجيال ، واستمرت عناية العلماء بهذا الجانب فكثرت المؤلفات ، وانتشرت الشروح والتعليمات .

وكان من أبرز العلماء المتأخرين فى هذا الجانب جمال الدين بن هشام الأنصارى المتوفى سنة احدى وستين وسبعمائة (٧٦١هـ)(١)، فقد كان امام عصره فى النحو وخاتمة المحققين المجتهدين الذين هذبوا وسائل هذا العلم ، وحققوا مسائله ، درس كتب السابقين دراسة واعية نافذة ، وخاصة كتب الأفذاذ منهم ، وكانت دراسته تقوم على الأناة والفهم العميق .

والمتأمل فى مؤلفات ابن هشام يجد الروعة فى العرض ، والوضوح فى العبارة والدقة فى التحليل ، والمنهج المنظم فى البحث مما يندر أن تجده عند غيره من معاصريه ، هذا بجانب تضلعه فى

---

(١) ينظر ترجمته فى : بغية الوعاة ٢/٦٨ ، وكشف الظنون ١/١٢٤، ٤٠٦ ، والأعلام ٤/٢٩١ وهدية العارفين ١/٤٦٥ ، ونشأة النحو للشيخ الطنطاوى ص ٢٧٧ : ٢٨٢ ، ومعجم المؤلفين ٦/١٦٣ .

اللغة ، وتبحره فيها ، واطلاعه على المعاجم الكبرى ، والموسوعات الموثوق بها .

قال فيه ابن خلدون « مازلنا ونحن بالمغرب نسمع أنه ظهر بمصر عالم بالعربية يقال له ابن هشام أنحى من سيبويه »(٢) .

وقال عنه أيضا : « ان ابن هشام على علم جم يشهد بعلو قدره فى صناعة النحو وكان ينحو فى طريقته منحاة أهل الموصل الذين اقتفوا أثر ابن جنى ، واتبعوا مصطلح تعليمه ، فأتى من ذلك بشىء عجيب دال على قوة ملكته واطلاعه »(٣) .

وقال عنه صاحب النجوم الزاهرة ابن تغرى بردى : « انه كان عالما فى عدة علوم لاسيما العربية ، فهو فارسها ومالك زمامها »(٤) .

وفى هذا البحث المختصر حاولت أن أضع بين يدى القارىء الكريم صورة لمنهج ابن هشام النحوى من خلال أشهر مؤلفاته التى تمثل منهجه ، وتعبر عنه أصدق تعبير .

---

(٢) مقدمة ابن خلدون ص ٢٠٢ .

(٣) المرجع السابق .

(٤) النجوم الزاهرة ١٠/٣٣٦ .

منهج ابن هشام فى الدراسات النحوية :

أولا : منهجه فى كتاب أوضح المسالك الى ألفية ابن مالك :

توخى ابن هشام فى هـذا الكتاب شرح الألفيـة دون أن يذكر أبياتها قصدا منـه الى الاختصار كما عمـد الى تنظيـم المعلومات ، وحسن ترتيبها وجمع شتاتها ، وعن منهجه يقول فى مقدمته :

« فان كتاب الخلاصة الألفية فى علم العربية نظم الامام العلامة جمال الدين أبى عبد الله محمد بن مالك الطائى ــ رحمه الله ــ كتاب صغر حجما ، وغزر علما ، غير أنه لافراط الايجاز ، قد كاد يعد من جملة الألغـاز .

وقد أسعفت طالبيه ، بمختصر يدانيه ، وتوضيح يساويه ويباريه ، أحل به ألفاظه وأوضح معـانيه ، وأحلل به تراكيبه ، وأنقح مبانيه ، وأعذب به موارده ، واعقل به شوارده ، ولا أخلى منه مسألة من شاهد أو تمثيل وربما أشير فيه الى خلاف أو نقد أو تعليل ، ولم آل جهـدا فى توضيحه وتهذيبه وربما خالفته فى تفصيله وترتيبه ، وسميته : أوضح المسالك الى ألفيـة ابن مالك »(٥) .

ومن هـذه المقدمة نستطيع أن نحدد عناصر منهجه ، ونبين مدى التزامه بكل عنصر من هـذه العناصر .

---

(٥) مقدمة أوضح المسالك ١/١٠ .

أولا : وضوح العبارة ، وازالة ما فيها من غموض فى الألفـاظ والتراكيب .

جاءت عبارة ابن هشام فى هـذا الكتاب واضحة سلسة خالية من الغموض فى ألفاظها وتراكيبها ولنذكر بعض الأمثلة التى تدل على ذلـك :

١ ــ يقول فى علامات الفعل : « ينجلى الفعل بأربع علامات :

احداها : تاء الفاعل ، متكلما كان كـ « قمت » أو مخاطبا نحو : « تباركت » .

الثانية : تاء التأنيث الساكنة ، كـ « قامت » ، وقعـدت ، فأما المتحركة فتختص بالاسم كقائمة .

وبهاتين العلامتين رد على من زعم حرفية ليس وعسى ، وبالعلامة الثانية على من زعم اسمية نعم وبئس .

الثالثة : ياء المخاطبة كقومى ، وبهـذه رد على من قال ان هات وتعال اسما فعلين .

الرابعة : نون التوكيد شـديدة أو خفيفـة نحو : « ليسـجنن وليكونا »(٦) ، وأما قوله :

أقائلن احضـروا الشـهودا

---

(٦) سورة يوسف من الآية ٣٢ .

ضـــرورة(٧) .

وقد عبر ابن مالك عن علامات الفعل بصورة موجزة تحتـــاج الى توضيح وتفصيل كما فعل ابن هشام فقال :

بتا فعلت وأتت ويا افعلى ونون اقبلن فعـــل ينجلى

٢ ــ يقـــول في اعمال (ما) عمل ليس : « أما (ما) فاعملها الحجازيون ، وبلغتهم جاء التنزيل قال الله تعالى : « ما هذا بشرا »(٨) « ما هن أمهاتهم »(٩) .

ولأعمالهم اياها أربعـــة شروط(١٠) ...

وفى هـــذا الموضع يقول ابن مالك :

اعمال ليس أعملت (ما) دون أن مع بقا النفى وترتيب زكن

أى : أعملت (ما) اعمال ليس حـــال كونها مفـــارقة ان الزائدة مصاحبة بقاء نفى وترتيب معلوم .

٣ ــ وعن الفاعل يقول ابن هشام : « الفاعل : اســـم أو ما فى تأويله ، أسند اليه فعل أو ما فى تأويله ، مقدم أصلى المحل والصيغة .

---

(٧) أوضح المسالك ١/٢٢ : ٢٤ .
(٨) سورة يوسف من الآية ٣١ .
(٩) سورة المجادلة من الآية ٢ .
(١٠) أوضح المسالك ١/٢٧٤ .

فالاسم نحو : « تبارك الله » والمؤول به نحـــو « أو لم يكفهم انا أنزلنا »(١١) .

والفعل كما مثلنا ، ومنه « أتى زيد » ، ونعم الفتى ، لا فرق بين المتصرف والجامد والمؤول بالفعل نحو : « مختلف ألوانه »(١٢) ونحو : « وجهه » فى قوله : أتى زيد منيرا وجهه ...»(١٣) .

وفى هـــذا الموضع يقول ابن مالك :

الفاعل الذى كمرفوعى أتى زيد منيرا وجهه نعم الفتى

ثانيـــا ــ التزامه بمنهج ابن مالك فى الألفيـــة :

سار ابن هشام وفق منهج ابن مالك فى الألفية ، فجاء شرحـــه متسلسلا مع أبيات الألفيـــة وان كان قـــد خلا من أبياتها ، أو الاشارة اليها ــ الا فيما ندر ــ اما قصدا للاختصار أو اعتمادا منـــه على حفظ القارىء لها لشهرتها ، أو رغبـــة منـــه فى أن يضع القارىء ألفيـــة ابن مالك أمامه ولا يهجرها استغناء بهذا الشرح .

وابن هشام فى شرحه قـــد خالف ابن مالك فى تفصيل وترتيب القواعد فى بعض الأحيان ولذا يقول فى مقدمة شرحـــه : « وربمـــا خالفته فى تفصيله وترتيبه »(١٤) .

---

(١١) سورة العنكبوت من الآية ٥١ .
(١٢) سورة النحل من الآية ٦٩ ، سورة فاطر من الآية ٢٨ .
(١٣) أوضـــح المسالك ٢/٨٣ .
(١٤) مقدمة أوضح المسالك ١/١٠ .

ولنذكر بعض الأمثلة التى تدل على ذلك :

١ ــ بدأ ابن مالك ألفيته بالحديث عن الكلام وما يتألف منه فقال :

كلامنا لفظ مفيد كاستقم واسم وفعل ثم حرف الكلم

وابن هشام بدأ بشرح الكلام وشرح ما يتألف منه«١٥) .

٢ ــ ختم ابن مالك ألفيته بالحديث عن الادغام فقال :

أول مثلين محركين فى كلمة ادغم لا كمثل خفف

وابن هشام ختم شرحه أيضا بباب الادغام ، فقال : « هذا باب الادغام : يجب ادغام أول المثلين المتحركين بأحد عشر شرطا .. »(١٦).

٣ ــ فى باب الأفعال الداخلة على المبتدأ والخبر (كان وأخواتها) قال ابن مالك :

ترفع كان المبتدأ اسما والخبر تنصبه ككان سيدا عمر

وابن هشام فى أوضح المسالك فصل القول ، ورتب القواعد ، فبدأ بذكر عمل هذه الأفعال وقسمها الى ثلاثة أقسام بالنسبة للعمل ، والى ثلاثة أقسام بالنسبة للتصرف والجمود .. »(١٧) .

---

(١٥) أوضح المسالك ١/ ١١ : ١٣ .
(١٦) أوضح المسالك ٤/٤٠٨ .
(١٧) ينظر أوضح المسالك ١/٢٣١ وما بعدها .

٤ ــ فى باب (نعم وبئس) تحدث عن تقدم المخصوص بالمدح أو الذم أو ما يشعر بها فمثل بجزء بيت من الفية ابن مالك فقال : «وقد يتقدم ما يشعر به ، فيحذف ، نحو « انا وجدناه صابرا نعم العبد »(١٨) أى : هو ، وليس منه : العلم نعم المقتنى(١٩) ، وانما ذلك من التقدم »(٢٠) .

ثالثا ــ الاكثار من الشواهد والأمثلة :

اعتمد ابن هشام فى شرحه على كثرة الشواهد القرآنية والشعرية والأمثلة التى يعضد بها القاعدة النحوية ، ولذلك يقول فى مقدمة شرحه : « ولا أخلى منه مسألة من شاهد ، أو تمثيل »(٢١) .

موقفه من الشاهد القرآنى :

الشاهد القرآنى غزير فى هذا الشرح ، وهو أول ما يستشهد به على القاعدة النحوية ، وكان هذا منهجه .

---

(١٨) سورة ص من الآية ٤٤ .
(١٩) هذا المثال جاء فى قول ابن مالك :
وان يقدم مشعر به كفى كالعلم نعم المقتنى والمقتفى
(٢٠) أوضح المسالك ٣/٢٨٠ .
(٢١) مقدمة أوضح المسالك ١/١٠ .

طريقـــة عرضـــه :

عند عرضه الشاهد القرآنى كان كثيرا ما يقتصر من الآيـة على موضع الشاهد ولو أدى ذلك الى اقتطاعها عما قبلها وعما بعدها مكتفيا بجزء يسير منها .

ولنذكر بعض الأمثلة التى تدل على ذلك :

١ ــ قال فى معرض استشهاده للام الطلب : « واللام الطلبية ، أمرا كانت نحو : « ليتفق ذو سعة »(٢٢) . أو دعاء نحو : « ليقض علينا ربك »(٢٣) . وجزمها فعلى المتكلم مبنيين للفاعل قليـل نحو : « قوموا فلأصل لكم »(٢٤) ، و « لنحمل خطاياكم »(٢٥) .

وأقل منه جـزمها فى الفـاعل المخـاطب نحـو : « فبذلك فلتفرحوا »(٢٦) فى قراءة(٢٧) .

---

(٢٢) سورة الطلاق من الآية ٧ .

(٢٣) سورة الزخرف من الآية ٧٧ .

(٢٤) حديث شريف فى البخارى ٤٨٨/١ بالرواية التى ذكرها ابن هشام ، وقال ابن مالك فى شواهد التوضيح ص ١٦٠ « ويجوز «فلأصلى» بثبوت الياء على تقدير : فذلك لأصلى » .

(٢٥) سورة العنكبوت من الآية ١٢ .

(٢٦) سورة يونس من الآية ٥٨ .

(٢٧) ذكر مكى بن أبى طالب أنه نقـل عن عبد الله بن عامر هـذه

ونحو : « اتأخذوا مصافكم »(٢٨) . والأكثر الاستغناء عن هـذا بفعل الأمر »(٢٩) .

٢ ــ قال فى معرض حديثه عن (اذن) : « وان كان السابق عليها واوا ، أو فاء جاز النصب وقد قرىء : « واذا لا يلبثوا »(٣٠) ، « فاذا لا يؤتوا »(٣١) ، والغالب الرفع ، وبه قرأ السبعة »(٣٢) .

٣ ــ ومما يدل على غزارة الشاهد القرآنى فى هذا الكتاب قوله :

القراءة ، وانكر ابن مجـاهد نسبتها اليه وزعم ابن خالويه أنها ضـعيفة ونسـبها ابو زرعة ليعقـوب أحد العشرة ، وروى ابن الجزرى أنها قراءة أبى . ينظر السـبعة لابن مجـاهد ص ٣٢٧ ، والكشف لمكى ٥٢٠/١ ، والحجة لابن خالويه ص ١٨٢ والحجة لأبى زرعة ص ٣٣٣ ، واملاء ما من به الرحمن للعكبرى ٣٠/٢ ، والبحر المحيط ١٧٥/٢ والنشر ٢٨٥/٢ .

(٢٨) ورد هذا الحديث بهذه الرواية فى الحجة لأبى زرعة ص ٣٣٣، والبحر المحيط ١٧٢/٥ ، والنشر ٢٨٥/٢ والذى فى صحيح مسلم ٤٢٣/١ « فيـاخذ الناس مصـافهم ... » وفى البخارى ٢٢٨/٨ « ونحن فى مصافنا » .

(٢٩) أوضـح المسالك ٢٠١/٤ .

(٣٠) سورة الاسراء من الآية ٧٦ ، وهذه قراءة ابن مسعود . ينظر البحر المحيط ٦٦/٦ ، ومختصر ابن خالويه ص ٧٧ .

(٣١) سورة النساء من الآية ٥٣ وهذه قراءة أبى بن كعب . ينظر الكشاف ٤٦٢/٢ ، ومختصر ابن خالويه ص ٧٧ ، والبحر المحيط ٦٦/٦

(٣٢) أوضـح المسالك ١٦٧/٤ ، ١٦٨ .

« وكل جواب يمتنع جعله شرطا فان الفاء تجب فيـــه ، وذلك الجملة الاسمية نحو : « وان يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير »(٣٣) .

والطلبية نحو : « ان كنتم تحبون الله فاتبعونى »(٣٤) ، وقـد اجتمعا فى قوله : « وان يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده »(٣٥) والتى فعلها جامد نحو : « ان ترن أنا أقل منـك مالا وولـدا فعسى ربى »(٣٦) أو مقرون بقد نحو : « أن يسرق فقد سرق أخ له »(٣٧) ، أو تنفيس نحو : « وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله »(٣٨) ، أو لن نحـو : « وما يفعلوا من خـير فلن يكفروه »(٣٩) ، أو ما نحـو : « فان توليتم فما سألتكم من أجر(٤٠) »(٤١) .

موقفـه من القـراءات القرآنيـة :

كان ابن هشام حافظا للقرآن الكريم ، دارسا لقراءاته ، وقد مكنه

---

(٣٣) سورة الأنعام من الآية ١٧ .
(٣٤) سورة آل عمران من الآية ٣١ .
(٣٥) سورة آل عمران من الآية ١٦ .
(٣٦) سورة الكهف الآية ٣٩ ، ٤٠ .
(٣٧) سورة يوسف من الآية ٧٧ .
(٣٨) سورة التوبة من الآية ٢٨ .
(٣٩) سورة آل عمران الآية ١١٥ .
(٤٠) سورة يونس الآية ٧٢ .
(٤١) أوضح المسالك ٤/٢٠٩ .

ذلك من الانتفاع بوجوه القراءات المختلفـة فى قواعـد النحو تثبيتا وتأصيلا ، أو دحضا وتوهينا ، وهو يعرض القراءة بكل ثقة ولا يقتصر فيما يعرض على القراءة المتواترة ، بل يجيء بالقراءة الشاذة ويخرج الجميع على وجه من وجوه الاعراب ، ولا يسمح لنفسه أن يحـكم على واحـدة منهـا بالشـذوذ ، أو الضعف ، بل يجل القرآن العظيم عن الشاذ والضعيف ، وقد اشتهر على قلمه : (ولكن القراءة سنة متبعة) اعزازا لمقام القرآن واجلالا لوجوه القراءات حتى لقـد تكررت هـذه العبارة فى كتبه بعامة ، وفى كتاب شرح شذور الذهب بخاصـة فى مواضـع كثيرة .

ولنذكر بعض الأمثلة التى تدل على ذلك :

١ ــ قال عند حديثه عن الفصل بين المضاف والمضاف اليـــه : « وزعم كثير من النحويين أنه لا يفصل بين المتضايفين الا فى الشعر ، والحق أن مسائل الفصل سبع ، منها ثلاث جائزة فى السبعة .

احداها : أن يكون المضاف مصدرا ، والمضاف اليه فاعله ، والفاصل اما مفعوله كقراءة ابن عامر « قتل أولادهم شركائهم »(٤٢) »(٤٣) .

٢ ــ وقال أيضا عند حديثه عن المسألة الثانية فى الفصـل بين

---

(٤٢) سورة الأنعام من الآية ١٣٧ ، وينظر حديثنا عن هذه الآية فى كتاب دراسات لغوية فى القرآن الكريم ص ١٣٢ .
(٤٣) أوضح المسالك ٣/١٧٧ : ١٨٠ .

المضاف والمضاف اليه في السعة : « الثانية : أن يكون المضاف وصفا ، والمضاف اليه اما مفعوله الأول ، والفاصل مفعوله الثاني كقراءة بعضهم : « فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله »(٤٤) »(٤٥) .

٣ ــ وقال في باب العدد : « وقد تضاف المائة الى جمع كقراءة الأخوين : « ثلاث مائة سنين »(٤٦) »(٤٧) بترك تنوين (مائة) .

٤ ــ وقال عند حديثه عن العطف بالفاء أو الواو على جملة جواب الشرط : « واذا انتفت الجملتان ثم جئت بمضارع مقرون بالفاء أو الواو ، فلك جزمه بالعطف ، ورفعه على الاستئناف ونصبه بأن مضمرة وجوبا ، وهو قليل ، قرأ عاصم وابن عامر : « فيغفر لمن يشاء »(٤٨) بالرفع ، وباقيهم بالجزم ، وابن عباس بالنصب(٤٩) .

---

(٤٤) سورة ابراهيم من الآية ٤٧ ، وينظر معاني القرآن للفراء ٢/٧٦ : ٨٢ ، البحر المحيط ٥/٤٣٨ .

(٤٥) أوضح المسالك ٢/١٨٢ .

(٤٦) سورة الكهف من الآية ٢٥ ، والأخوان هما حمزة والكسائي ، وبها قرأ خلف . ينظر النشر ٢/٣١٠ والحجة لابن خالويه ٢٢٣ .

(٤٧) أوضح المسالك ٤/٢٥٥ .

(٤٨) سورة البقرة من الآية ٢٨٤ ، وينظر النشر ٢/٢٣٧ ، وابن خالويه ص ١٠٤ ، والداني ٨٥ .

(٤٩) وبالنصب أيضا قرأ الأعرج وأبو حيوة . ينظر الدر المصون للسمين الحلبي ٢/٦٨٧ تحقيق د/ أحمد الخراط ــ دار القلم ــ دمشق سنة ١٤٠٦هـ .

وقرىء بهن أيضا في قوله تعالى :

« من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم »(٥٠) »(٥١) .

موقفه من الشاهد الشعري :

عنى ابن هشام بالشاهد الشعري في أوضح المسالك كعنايته بالشاهد القرآني ، فكثيرا ما كان يعضد القاعدة النحوية ببيت من الشعر أو أكثر بعد تقريره للقاعدة ، واستشهاده لها بالنثر الفصيح ، وقلما كان ابن هشام ينسب البيت الى قائله ، فقد كان يكتفي بقوله :

(ومنه قوله) ، أو (كقوله) ، (وأما قوله) .

كذلك كان يكتفي بذكر جزء من البيت في الأعم الأغلب ، ولنذكر بعض الأمثلة التي تدل على ذلك :

١ ــ قال في معرض حديثه عن الأسماء الستة : « فان أفردت أعربت بالحركات نحو : « وله أخ »(٥٢) و « ان له أبا »(٥٣) .

---

(٥٠) سورة الأعراف من الآية ١٨٦ . « يذرهم » بالجزم قرأ بها حمزة والكسائي وخلف ، وسائر العشرة بالرفع والنون « نذرهم » . ولم أقف على قراءة النصب . ينظر النشر ٢/٢٧٣ ، والحجة لابن خالويه ١٦٧ ، والدر المصون ٥/٥٢٧ ، ٥٢٨ .

(٥١) أوضح المسالك ٤/٢١٣ .

(٥٢) سورة النساء من الآية ١٢ .

(٥٣) سورة يوسف من الآية ٧٨ .

و « بنات الأخ »(٥٤) فأما قوله :

خالط من سلمى خياشيم وفا

فشاذ أو الاضافة منوية أى : خياشيمها وفاها(٥٥) .

٢ ــ وفى (ذو) الموصولة يقول : « واذا كانت (ذو) موصولة لزمتها الواو ، وقد تعرب بالحروف كقوله :

فحسبى من ذى عندهم ما كفانيا»(٥٦)

٣ ــ وفى عمل المصدر يقول : « وعمل المصدر مضافا أكثر نحو : « ولولا دفع الله الناس »(٥٧) ومنونا أقيس نحو : « أو اطعام فى يوم ذى مسغبة يتيما »(٥٨) ، وبأل قليل ضعيف كقوله :

ضعيف النكاية أعداءه »(٥٩)

٤ ــ وفى لغة النقص فى الأب والأخ والحم يقول : « ومنه قوله :

بأبه اقتدى عدى فى الكرم ومن يشابه أبه فما ظلم»(٦٠)

---

(٥٤) سورة النساء من الآية ٢٣ .
(٥٥) أوضح المسالك ١/٣٩ : ٤١ .
(٥٦) أوضح المسالك ١/٤٢ .
(٥٧) سورة البقرة من الآية ٢٥١ ، سورة الحج آية ٤٠ .
(٥٨) سورة البلد من الآية ١٤ ، ١٥ .
(٥٩) أوضح المسالك ٣/٢٠٥ : ٢٠٨ .
(٦٠) أوضح المسالك ١/٤٤ .

٥ ــ وفى مسائل حذف الخبر وجوبا يقول : « وجاز الوجهان ان وجد الدليل نحو : لولا أنصار زيد حموه ما سلم ، ومنه قول أبى العلاء المعرى :

فلولا الغمد يمسكه لسالا »(٦١)

٦ ــ وفى اقتران خبر (عسى) و (أوشك) بأن يقول : « والتجرد قليل كقوله :

عسى الكرب الذى أمسيت فيه يكون وراءه فرج قريب

وقوله :

يوشك من فر من منيته فى بعض غراته يوافقها(٦٢)

موقفه من الاستشهاد بالحديث :

نهج ابن هشام نهج ابن مالك فى الاستشهاد بالحديث فى أكثر من موضع فى كتابه أوضح المسالك ، منها :

١ ــ عند حديثه عن لغة النقص فى (هن) يقول : « والأصح فى الهن النقص ، أى : حذف اللام ، فيعرب بالحركات ، ومنه الحديث :

---

(٦١) أوضح المسالك ١/٢٢١ .
(٦٢) أوضح المسالك ١/٣١٢ ، ٣١٣ .

« من تعزى بعزاء الجاهلية فأعضوه بهن أبيه ولا تكنوا »(٦٣) »(٦٤) .

٢ ــ يقول عند حديثه عن الضمير المنصوب بكان أو احدى أخواتها والذى يجوز فيه الوصل والفصل : « ومن ورود الوصل : الحديث « ان يكنه فلن تسلط عليه »(٦٥) »(٦٦) .

٣ ــ عند حديثه عن مسوغات الابتداء بالنكرة يقول : « أو تكون موصوفة سواء ذكرا ... أو حذفت الصفة ... أو الموصوف كالحديث : « سوداء ولود خير من حسناء عقيم »(٦٧) أى : امرأة سوداء »(٦٨) .

٤ ــ يقول عند حديثه عن التوكيد اللفظى : « وان كان اسما ظاهرا

---

(٦٣) ينظر الحديث فى مسند الامام أحمد ١٣٦/٥ ، والنهاية لابن الأثير ٢٥٢/٣ ، ٢٧٨/٥ .

(٦٤) أوضح المسالك ٤٤/١ .

(٦٥) تكملة الحديث : « وان لم يكنه فلا خير لك فى قتله » ينظر البخارى « فتح البارى » ٢١٨/٣ ، ١٧٢/٦ ، وصحيح مسلم ٢٤٤/٤

(٦٦) أوضح المسالك ١٠٢/١ ، وعدة المسالك ١٠٢/١ .

(٦٧) رواه الشيخ خالد الأزهرى فى التصريح ١٦٩/١ « سواء ... وكذا ابن الأثير فى النهاية ٤١٦/٢ ، وقال : السواء : القبيحة ، ثم قال أخرجه الأزهرى حديثا عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وأخرجه غيره حديثا عن عمر ، وفى كشف الخفاء ٤٥٧/١ برواية « سوداء ولود خير من حسناء لا تلد » ، وذكر أن ابن حبان أخرجه فى الضعفاء .

(٦٨) أوضح المسالك ٢٠٤/١ .

أو ضميرا منصوبا ، فواضح نحو : « فنكاحها باطل باطل باطل »(٦٩) »(٧٠) .

رابعا ــ تتبعه لآراء النحاة فى المسائل الخلافية بالنقد والتعليل والترجيح :

يقول ابن هشام فى مقدمته : « وربما أشير فيه الى خلاف أو نقد أو تعليل »(٧١) .

ولنذكر بعض الأمثلة التى تدل على ذلك :

١ ــ فى موضوع اعراب (حسب) يقول : « واقتضى كلام ابن مالك أنها تعرب نصبا اذا نكرت كقبل وبعد .

قال أبو حيان : ولا وجه لنصبها ، لأنها غير ظرف الا أن نقل عنهم نصبها حالا ان كانت نكرة ، انتهى « أى كلام ابن حيان » .

ورد عليه ابن هشام بقوله : « فان أراد بكونها نكرة قطعها عن الاضافة اقتضى أن استعمالها حينئذ منصوبة شائع ، وأنها كانت مع الاضافة معرفة ، وكلاهما ممنوع وان أراد تنكيرها مع الاضافة فلا وجه

---

(٦٩) الحديث فى سنن أبى داود ٥٦٦/٢ « أيما امرأة نكحت بغير اذن موالها فنكاحها باطل » (ثلاث مرات) ، وفى الترمذى ٢٢٨/٤ ، وابن ماجة ٦٠٥/١ « فنكاحها باطل فنكاحها باطل ، فنكاحها باطل » .

(٧٠) أوضح المسالك ٣٣٦/٣ .

(٧١) مقدمة أوضح المسالك ١٠/١ .

لاشتراطه التنكير حينئذ ، لأنها لم ترد الا كذلك وأيضا فلا وجه لتوقفه في تجويز انتصابها على الحال حينئذ فانه مشهور ، حتى انه مذكور في كتاب الصحاح قال : تقول هـذا رجل حسبك من رجـل ، وتقول في المعرفة هـذا عبد الله حسبك من رجل ، فتنصب (حسبك) على الحال انتهى « أي كلام الجوهري »(٧٢) .

ثم يستطرد ابن هشام فيقول : « وأيضا فلا وجـه للاعتذار عن ابن مالك بذلك لأن مراده التنكير الذي ذكره في قبل وبعـد ، وهو : أن تقطع عن الاضافة لفظا وتقديرا »(٧٣) .

أرأيت كيف تحرش ابن هشام بأبي حيان ؟ وكيف ضيق عليـه الخناق ؟ وكيف قاب كلامه على وجوهه المحتملة ، ثم رد عليه بقوة مفندا كل احتمال ، منتصرا لابن مالك ؟ كل ذلك في براعة وقوة ونظام محكم ووضوح في الهدف ، وهكذا ابن هشام غالبا مع ابن حيان !!

٢ ــ قال ابن هشام في العطف على الضمير المخفوض : « ولا يكثر العطف على الضمير المخفوض الا باعادة الخافض حرفا كان أو اسـما نحو : « فقال لها وللأرض »(٧٤) « قالوا نعبد الهك اله آبائك »(٧٥) .

وليس بلازم وفاقا ليونس والأخفش والكوفيين بدليل قراءة ابن

(٧٢) ينظر الصحاح مادة « حسب » .
(٧٣) أوضـح المسـالك ٣/١٦٤ .
(٧٤) سورة فصلت من الآية ١١ .
(٧٥) سورة البقرة من الآية ١٣٣ .

عباس والحسن وغيرهما « تساءلون به والأرحام »(٧٦) ، وحـكاية قطرب : ما فيها غيره وفرسه .

قيل(٧٧) : ومنه « وصـد عن سبيل الله وكفـر به والمسـجد الحـرام »(٧٨) ، اذ ليس العطف على السبيل لأنه صلة المصـدر ، وقد عطف عليـه (كفـر) ولا يعطف على المصـدر حتى تكمل معمولاته »(٧٩) .

فأنت ترى كيف تتبع المسألة ، وكيف أيد رأي يونس والأخفش والكوفيين ، وكيف رد على الزمخشري الذي اعتقد أن عطف (المسجد الحرام) على (سبيل) المجرور بعن ، أي على الظاهر السابق ، ولكن ابن هشام يرفض ذلك لمكان العطف حيث ان كلمة (كفـر) قد عطفت على (صـد) ، ولا يجوز العطف على المصدر قبل استيفاء معمولاته ، واذا كان العطف على (سبيل) ممنوعا لهذه الحجة ، فهو اذن من باب العطف على الضمير (وكفر به) من غير اعادة الخافض ، اذ لو أعاده لقال : وبالمسجد الحـرام .

فهذا رد دقيق من ابن هشام يعتمد البرهان ويمضي معه .

(٧٦) سورة النساء من الآية الأولى .
(٧٧) القائل الزمخشري . ينظر شرح التصريح ٢/١٥٢ .
(٧٨) سورة البقرة من الآية ٢١٧ .
(٧٩) أوضح المسالك ٣/٣٩٢ ، ٣٩٣ .

مذهبـــه النحـــوى :

لقد كان ابن هشـــام متحـــرر العقل ، مستقل الرأى ، لا يخضع خضوعا مطلقا لآراء غيره من النحاة مهما علت مكانتهم ، ولم يكن يسبغ القداسة على مذهب من المذاهب .

ولذلك لا نستطيع أن نحكم بأن ابن هشام كان بصرى النزعة يعتمد أدلة البصريين ويحبذ اتجاهاتهم ، كما لا نستطيع أن نقـــول بأنه كان كوفى النزعة لا يتشدد فى الأصول التى تقوم عليها قواعد النحو ، وأما الذى نتجه اليه أنه كان من أصحاب الانتقاء كالبغداديين ، يتبع قـــوة الدليل ، فان كان مـــع البصريين لم يتـــردد فى تقبل مذهبهم وكثـــيرا ما يحـــدث .

يقول الشيخ الطنطاوى فى كتابه نشأة النحو : « وفى خـــلال تفصيلاته وازن كثـــيرا بين المذاهب النحـــوية ، وان كان صـــفوه مع البصريين »(٨٠) .

ويفهم من ذلك أن اتباعه للمذهب البصرى كان أكثر لقوة أدلتهم فى الغالب ، بيـــد أنه لا يتردد فى متابعة الكوفيين عنـــدما يجد الدليل معهم ، فيقدم مذهبهم على مذهب البصريين وليس أدل على ذلك من مخالفته مذهب سيبويه فى كثير من الأحيان ، وسيبويه هو من هو فى

---

(٨٠) نشأة النحو ص ٢٧٦ ط دار المعارف ـ مصر سنة ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م .

سمو المنزلة ، ورفعة المكانة ، بل كان أحيانا يتجانف عنـــه ، ويرد عليه ، وأحيانا يلتمس وجهة لرأيه المبهم ، وربما جاء بنحوى مغمور ، فأشـــاد برأيه تبعا لوضوح الدليل عنده ، وكثيرا ما يترك آراء النحاة اللامعين ، لأنه لم يقتنع بآرائهم ، ويوسعهم مناقشة وتوهينا .

وتراه أحيانا يوافق ابن مالك ، وأحيـــانا يخالفه ويرد عليـــه ، ولكن مع اعتدال اللهجة واستعمال الأسلوب العلمى فى المناقشة .

وأما أبو حيان فكثيرا ما يصاوله مصاولات حادة ويسفه آراءه ، ويحاصره بالأدلة(٨١) ومناقشاته مع الزمخشرى كثيرة مستفيضة(٨٢) .

ولنذكر بعض الأمثلة التى تدل على ذلك :

١ ـ يقول فى باب المعـــرفة بالأداة : « وهى (أل) لا اللام وحـــدها وفاقا للخليـــل وســـيبويه وليست الهمزة الزائدة خـــلافا لسيبويه »(٨٣) .

٢ ـ يقول فى الوصف الرافع لمكتفى به عن الخبر : « ولابـــد الوصف المذكور من تقـــدم نفى أو استفهام نحو :

خليـــلى ما واف بعهـــدى أنتمـــا

ونحو : أقاطن قـــوم ســـلمى أم نووا ظعنا

---

(٨١) ينظر أوضح المسالك ١٦٤/٣ موضوع اعراب « حسب » .
(٨٢) ينظر أوضح المسالك ٣٩٢/٣ ، ٣٤٨/٣ ، ٢٣٣/٤ ، وص١٢
(٨٣) أوضح المسالك ١٧٩/١ .

خلافا للاخفش والكوفيين ، ولا حجة لهم فى نحو :

خبير بنو لهب فلا تك ملغيا

خلافا للناظم وابنه ، لجواز كون الوصف خبرا مقدما ، وانما صح الاخبار به عن الجمع ، لأنه على (فعيل) ، فهو على حد : « والملائكة بعد ذلك ظهير »(٨٤) »(٨٥) .

٣ ــ يقول فى صرف غير المنصرف « وأجاز الكوفيون والأخفش والفارسى للمضطر أن يمنع صرف المنصرف ، وأباه سائر البصريين ، واحتج عليهم بنحو قوله :

طلب الأزارق بالكتائب اذ هوت بشبيب غائلة النفوس غدور

وعن ثعلب أنه أجاز ذلك فى الكلام »(٨٦) .

٤ ــ يقول فى رافع المضارع : « رافع المضارع تجرده من الناصب والجازم وفاقا للفراء لا حلوله محل الاسم خلافا للبصريين ، لانتقاضه بنحو : هلا تفعل »(٨٧) .

---

(٨٤) سورة التحريم من الآية ٤ .
(٨٥) أوضح المسالك ١٨٩/١ : ١٩٣ .
(٨٦) أوضح المسالك ١٣٧/٤ .
(٨٧) أوضح المسالك ١٤١/٤ .

ثانيا ــ منهجه فى كتاب مغنى اللبيب :

منهج ابن هشام فى المغنى منهج فريد ، قد بلغ الغاية من التجديد والضبط والاحاطة والابداع ويجمل بنا أن نستمع الى منهج ابن هشام فى المغنى من كلامه ، يقول فى مقدمة كتابه المغنى : « ووضعت هذا التصنيف على أحسن احكام وترصيف ، وتتبعت فيه متفلات مسائل الاعراب فافتتحتها ، ومعضلات يستشكلها الطلاب فأوضحتها ونقحتها ، وأغلاطا وقعت لجماعة من المعربين وغيرهم فنبهتهم عليها وأصلحتها »(١) .

وقال ابن خلدون يذكر قيمة الكتاب ، ويلم بمنهج ابن هشام فيه : « ووصل الينا بالمغرب لهذه العصور ديوان من مصر منسوب الى جمال الدين بن هشام ــ من علمائها ــ استوفى فيه أحكام الاعراب مجملة ومفصلة ، وتكلم على الحروف والمفردات والجمل ، وحذف ما فى الصناعة من تكرار فى أكثر أبوابها ، وسماه بالمغنى فى الاعراب ، وأشار الى نكت اعراب القرآن كلها ، وضبطها بأبواب وفصول وقد انتظمت سائرها ، فوقفنا منه على علم يشهد بعلو قدره فى هذه الصناعة ، ووفور بضاعته فيها »(٢) .

ومن خلال ما ذكره ابن هشام فى مقدمة كتابه ، وما وصفه به ابن خلدون فى مقدمته نستطيع أن نحدد ملامح منهج ابن هشام فى المغنى فيما يلى :

---

(١) مقدمة المغنى ٣/١ تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد .
(٢) مقدمة ابن خلدون ص ٥٤٧ ط مصطفى محمد .

١ ــ ضبط أبواب النحو ، وحذف الفضول ، والبعد عن التكرار .

٢ ــ استيفاء مباحث الاعراب مجملة ومفصلة .

٣ ــ العناية بمعانى الحروف ، والاهتمام بالمفردات والجمل .

٤ ــ الاشارة الى نكت اعراب القرآن الكريم كلها ، وضبطها بأبواب وفصول وتستوقفنا هذه الجزئية الأخيرة ، لأنها تشير الى الباعث على تأليف هذا الكتاب والى عمق المنهج المتبع فيه ، وبخاصة فيما يتصل بالقرآن الكريم ، فالمطلع على هذا المؤلف يرى انبثاث الآيات الكريمة فى جنباته بغزارة ووفرة ، كما يرى مناقشات حامية الوطيس حول اعراب كثير من الآيات ، وبخاصة فى وجوه القراءات ، كأنما ألفه ابن هشام تفسيرا لكتاب الله الكريم ، ولم لا ، وقد نقل عنه قوله لمن سأله لم لا تفسر القرآن الكريم ؟ (المغنى يغنى)(٣) .

والحق أن ابن هشام فى المغنى قد بلغ الغاية والابداع ، فلم يدع مسألة نحوية أصلية الا عرض لها .

ولأهمية هذا المؤلف تبارى العلماء فى التعليق عليه مذ ظهر ، فشرحه ابن الصائغ (ت ٧٧٦هـ) الى اثناء الباء الموحدة ، وسمى شرحه (تنزيه السلف عن تمويه الخلف) ، والدمامينى (ت ٨٢٧هـ) بعد أن عاق عليه فى الديار المصرية ، ونزح الى الهند شرحه بتوسع وسمى شرحه (تحفة الغريب بشرح مغنى اللبيب) وفى هذا الشرح

---

(٣) نشأة النحو ص ٢٨٢ .

اعتراضات على المغنى كثيرة تعقبها الشمنى (ت ٨٧٢هـ) فى حاشيته عليه المسماة (المنصف من الكلام على مغنى ابن هشام) .

وللسيوطى (ت ٩١١هـ) حاشية على المغنى وصل فيها الى (حتى) ، وللأمير حاشية تامة والدسوقى أيضا له حاشية تامة عليه ، وكذا للابيارى سماها (القصر المبنى على حواشى المغنى) وصل فيها الى أول الباب الثانى(٤) .

والمتتبع لمذهب ابن هشام النحوى فى المغنى من خلال عرضه للمسائل يجده كعادته فى كل مؤلفاته يوازن بين المذاهب النحوية المختلفة ، متحررا من التبعية ، مؤثرا ما قام عليه الدليل ، فهو فى كثير من الأحيان مع البصريين ، ولكنه أحيانا يؤثر المذهب الكوفى ، أو رأيا لنحوى صغير لقيام الأدلة على صحة رأيه .

واليك بعض الأمثلة :

١ ــ أنكر (أن) المفسرة جريا على مذهب الكوفيين ، فقال فى أعقاب ذكر رأى الكوفيين : « وهو عندى متجه »(٥) .

٢ ــ اختار شرطية (أن) المدغمة فى (ما) فى نحو : أما أنت

---

(٤) ينظر نشأة النحو ص ٢٨٢ .

(٥) ينظر المغنى ص ٤٧ تحقيق د/ مازن المبارك وزميله ، وقد أثبتها فى أوضح المسالك ولم ينكرها ينظر ٤/١٥٧ : ١٥٩ .

منطلقا انطلقت ، وقال « وإليه ذهب الكوفيون ويرجحه عندى أمور ... الخ »(٦) .

٣ ــ اختار اعراب فعل الأمر بالجزم بلام الأمر المقدرة ، لأنه مقتطع من المضارع المجزوم بها وهو رأى الكوفيين ، وقال : « وبقولهم أقول »(٧) .

عنايته بالشاهد القرآنى :

ابن هشام كما ذكرنا عنى بالشاهد القرآنى فى هذا المؤلف عناية فائقة ، ومن أمثلة ذلك :

١ ــ قوله بصدد (أن) المفسرة : « من معانى (أن) أن تكون مفسرة بمعنى أى نحو : « فأوحينا اليه أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا »(٨) ، ونحو : « ونودوا أن تلكم الجنة »(٩) .

وقال : « وعن الكوفيين انكار (أن) التفسيرية البتة ، وهو عندى متجه ... الخ »(١٠) .

٢ ــ قوله بصدد (أن) الناصبة : « وقد يرفع الفعل بعدها

---

(٦) المغنى ص ٥٣ .
(٧) المغنى ص ٣٠٠ .
(٨) سورة المؤمنون الآية ٢٧ .
(٩) سورة الأعراف الآية ٤٣ .
(١٠) المغنى ١/٣٢ .

كقراءة ابن محيصن « لمن أراد أن يتم الرضاعة »(١١) »(١٢) .

٣ ــ قوله بصدد الحال التى وردت بلفظ المعرف بأل : « وقرأ بعضهم » ليخرجن الأعز منها الأذل »(١٣) بفتح الياء ، لأن الحال واجبة التنكير(١٤) أى : قليلا ... الخ » .

٤ ــ قوله بصدد الحديث عن لفظ (كل) : « اعلم أن لفظ (كل) حكمه الافراد والتذكير وأن معناها بحسب ما تضاف اليه ، فان كانت مضافة الى نكرة وجب مراعاة معناها فلذلك جاء الضمير مفردا فى نحو : « وكل شىء فعلوه فى الزبر »(١٥ « وكل انسان ألزمناه طائره »(١٦) ومفردا مؤنثا فى قوله تعالى : « كل نفس بما كسبت رهينة »(١٧) .

ثم قال بعد ذلك : « وربما جمع الضمير مع ارادة الحكم على كل واحد كقوله :

من كل كوماء كثيرات الوبر

ثم يستطرد فيقول : « والجمع واجب فى قوله تعالى : « كل حزب

---

(١١) سورة البقرة الآية ٢٣٣ .
(١٢) المغنى ١/٣٠ .
(١٣) سورة المنافقون الآية ٨ .
(١٤) المغنى ١/٥٢ ، ٥٣ .
(١٥) سورة القمر الآية ٥٢ .
(١٦) سورة الاسراء الآية ١٣ .
(١٧) سورة المدثر الآية ٣٨ .

بما لديهم فرحون »(١٨) يريد أن الحزب معناه الجمع ، ثم قال : « وليس من ذلك « وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه »(١٩) لأن القرآن لا يخرج على الشاذ — وانما جمع باعتبار معنى الأمة — ونظيره الجمع في قوله تعالى : « أمة قائمة يتلون »(٢٠) ومثل ذلك : « وعلى كل ضامر يأتين»(٢١) فليس الضامر مفردا في المعنى لأنه قيم الجمع ، وهو (رجالا) ، وانما هو اسم جمع كالجامل والباقر ، أو صفة لجمع محذوف أي : كل نوع ضامر »(٢٢) .

فأنت ترى أنه قدم بحثا متكاملا عن لفظ (كل) في العربية من حيث مراعاة لفظها ومعناها وأنه أكثر من الاستدلال بالشواهد القرآنية، ثم أخذ يوجه بعض الآيات التي لم ينسجم ظاهرها مع القاعدة النحوية مثل « وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه » فجعل الجمع مراعاة للمعنى — أي معنى الأمة ، ثم أورد نظيرا لذلك « أمة قائمة يتلون » كل ذلك ليأتي بالقرآن الكريم عن التخريج على وجه شاذ .

---

(١٨) سورة المؤمنون الآية ٥٣ .
(١٩) سورة غافر الآية ٥ .
(٢٠) سورة آل عمران الآية ١١٣ .
(٢١) سورة الحج الآية ٢٧ .
(٢٢) ينظر المغني : مبحث « كل » ص ٢٥٨ : ٢٦٢ ط دمشق .

٥/٤/٢ — منهجه في كتاب شرح شذور الذهب :

هذا الكتاب من كتب ابن هشام المختصرة التي وضعها لتناسب الطلاب ، وقد ارتبط هذا الشرح بمتن شذور الذهب ؛ دقيق العبارة، ليتسنى حفظه لطلاب العلم ، ويعرف هذا المتن بمتن شذور الذهب ، وهو من تأليف ابن هشام أيضا .

وجاء الشرح موضحا لغموضه ، باسطا لعبارته ، مفصحا عن ارادته ، وقد عني فيه ابن هشام بالاكثار من الشواهد القرآنية ، والشعرية ، والأحاديث النبوية لدعم القاعدة النحوية وتأصيلها .

وقد جرت عادة المؤلف أن يرمز الى المتن بقوله (قلت) ، (ثم قلت) والى الشرح بقوله (والأول) .

وعن منهجه في هذا المؤلف يقول ابن هشام في مقدمته :

فهذا كتاب شرحت به مختصري المسمى بشذور الذهب في معرفة كلام العرب ، تممت به شواهده وجمعت به شوارده ، ومكنت من اقتناص أوابده رائده قصدت فيه الى ايضاح العبارة لا الى خفاء الاشارة ، وعمدت فيه الى لف المباني والأقسام لا الى نشر القواعد والأحكام .

والتزمت فيه أنني كلما مررت ببيت من شواهد الأصل ذكرت اعرابه ، وكلما أتيت على لفظ مستغرب أردفته بما يزيل استغرابه ،

وكلما أنهيت مسألة ختمتها بآية تتعلق بها من آى التنزيل ، وأتبعتها بما تحتاج اليه من اعراب وتفسير وتأويل .

وقصدى بذلك تدريب الطالب ، وتعريفه السلوك الى أمثال هـذه المطـالب(١) .

ومن هـذه المقدمة نستطيع أن نحـدد عناصر منهجه فى هـذا الشرح على النحو التالى :

١ ــ توضيح عبارة المتن بطريقة موجزة دون اسـهاب فى نشر القواعد والأحكام ومن أمثلة ذلك :

(أ) بدأ كتابه بشرح الكلمة فقال : « قلت : الكلمة قول مفرد » .
وأقول : « فى الكلمة ثلاث لغات ، ولها معنيان .. الخ »(٢)

(ب) وفى علامات الاسم يقول : « ثم قلت : فالاسم : ما يقبل آل ، أو النداء أو الاسناد اليه . وأقول : ذكرت للاسم ثلاث علامات يتميز بها عن قسيميه ، احـداها : (آل) وهـذه العبارة أولى من عبارة من يقول (الألف واللام) لأنـه لا يقـال فى (هل) الهـاء واللام ، ولا فى (بل) الباء واللام ، وذلك كالرجل ، الكتاب والدار ... الخ »(٣) .

---

(١) شرح الشذور ص ١٠ تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد .
(٢) شرح الشذور ص ١١ .
(٣) شرح الشذور ص ١٥ .

(ج) وفى تعريف المبتدأ يقول : « ثم قلت : الثالث المبتدأ ، وهو المجرد عن العوامل اللفظية مخبرا عنه أو وصفا رافعا لمكتفى به ، فالأول كـ (زيد قائم) و « وأن تصوموا خـير لكم »(٤) و « هل من خالق غير الله »(٥) .

والثانى : شرطه نفى أو استفهام ، نحو : أقـائم الزيدان ، وما مضروب العمران .

وأقول : الثالث من المرفوعات : المبتـدأ ، وهو نوعان : مبتدأ له خبـر وهو الغالب ومبتدأ ليس له خبـر ، لكن له مرفـوع يغنى عن الخـبر .... »(٦) .

٢ ــ التزم فى هـذا الشرح بتوضيح معانى الكلمات الغامضة ، واعرابها بلغة سهلة .

ومن أمثلة ذلك :

(أ) فى حديثه عن معنى (كلا) واعرابها يقول : « وكلا فى العربية على ثلاثة أوجه : حرف ردع وزجر ، وبمعنى حقا ، وبمعنى : أى ، فالأول كما فى هـذه الآية(٧) ، أى : انته عن هـذه المقـالة ، فلا سبيل الى الرجوع .

---

(٤) سورة البقرة من الآية ١٨٤ .
(٥) سورة فاطر من الآية ٣ .
(٦) شرح الشذور ص ١٧٩ ، ١٨٠ .
(٧) أى قوله تعالى : « قال رب ارجعون لعلى أعمل صالحا فيما تركت كلا انها كلمة هو قائلها » المؤمنون من الآية ١٠٠ .

والثانى نحو : « كلا ان الانسان ليطغى »(٨) أى : حقا ، اذ لم يتقدم على ذلك ما يزجر عنه ، كذا قال قوم ، وقد اعترض على ذلك بأن (حقا) تفتح (أن) بعدها وكذلك (ألا) التى بمعناها ، فكذا ينبغى فى (كلا) ، والأولى أن تفسر (كلا) فى الآية بمعنى (ألا) التى يستفتح بها الكلام ، وتلك تكسر بعدها (ان) نحو : « الا ان أولياء الله لا خوف عليهم »(٩) .

والثالث : قبل القسم نحو : « كلا والقمر »(١٠) معناه أى والقمر كذا قال النضر بن شميل وتبعه جماعة منهم ابن مالك ، ولها معنى رابع تكون بمعنى (ألا)(١١) .

(ب) يقول فى حذف (كان) وحدها وجوبا دون اسمها وخبرها : « ومن شواهد هذه المسألة قول العباس بن مرداس رضى الله عنه :

أبا خراشة أما أنت ذا نفر فان قومى لم تأكلهم الضبع

(أبا) منادى بتقدير : يا أبا ، و (خراشة) بضم الخاء المعجمة، و (أما أنت ذا نفر) أصله : لأن كنت ذا نفر ، فعمل فيه ما ذكرناه ، والذى يتعلق به اللام محذوف : أى لأن كنت ذا نفر افتخرت على ، والمراد بالضبع : السنة المجدبة »(١٢) .

---

(٨) سورة العلق الآية ٦ .
(٩) سورة يونس من الآية ٦٣ .
(١٠) سورة المدثر من الآية ٣٢ .
(١١) شرح الشذور ص ١٢ ، ١٣ .
(١٢) شرح الشذور ص ١٨٦ ، ١٨٧ .

(ج) وعند حديثه عن أفعال الشروع يقول : « وطفق أشهرها ، وهى التى وقعت فى التنزيل وذلك فى موضعين :

أحدهما : « وطفقا يخصفان »(١٣) أى : شرعا يخيطان ورقة على أخرى كما تخصف النعال ليستترا بها ... »(١٤) .

٣ ــ عنى بالشواهد القرآنى فى هذا الشرح ، وتناوله بطريقة فريدة من نوعها .

فابن هشام فى هذا الشرح يورد الآية القرآنية عقب البحث غالبا تأصيلا له وتطبيقا عليه ، ثم يتناولها بشرح مفرداتها اللغوية شرحا موسعا ، وكثيرا ما يذكر آراء اللغويين ويرد على اللغات الضعيفة ، ويدعم رأيه بذكر المعاجم ، ثم يشرح التراكيب بعد ذلك . ثم يتولى اعراب الآية بالتفصيل ذاكرا آراء النحاة ان وجدت ، وكثيرا ما يتوسع فى ذلك ، ثم يكر على الآراء الضعيفة فينقضها مهما كان أمر صاحبها .

وقد يثير بحثا بلاغيا يقتضيه المقام ، ويفيض فى ذكر ما يتعلق بالآية من قراءات متواترة أو شاذة ، ويذكر أصحاب القراءات فى الغالب الأعم ، وقد يكتفى بقوله : (قرأ بعضهم) ثم يخرج هذه القراءات تخريجا حسنا ، ومحال أن يحكم على قراءة بالشذوذ أو الضعف بل يتوقف عندها موقرا لها قائلا : القراءة سنة متبعة .

---

(١٣) سورة الأعراف من الآية ٢٢ ، وسورة طه من الآية ١٢١ .
(١٤) شرح الشذور ص ١٩٢ .

واليك بعض الأمثلة :

١ ــ يقول عند حديثه عن الفعل المضارع المعتل الآخر : « فانه يجزم بحذف الحرف الأخير نيابة عن حذف الحركة ، تقول : لم يغز ، ولم يخش ، ولم يرم ، قال الله تعالى : « فليدع ناديه »(١٥) .

اللام لام الأمر ، و (يدع) فعل مضارع مجزوم ، وعلامة جزمه حذف الواو و (ناديه) مفعول ومضاف اليه ، وظهرت الفتحة : على المنقوص لخفتها ، والتقدير : فليدع اهل ناديه : أى أهل مجلسه .

وقال الله تعالى « ولم يخش الا الله »(١٦) ، « ولم يؤت سعة من المال »(١٧) . فهذان مثالان لحذف الألف .

وقال الله تعالى : « لما يقض ما أمره »(١٨) .

(لما) حرف جزم لنفى المضارع وقلبه ماضيا ، كما أن (لم) كذلك ، والمعنى : أن الانسان لم يقض بعد ما امره الله تعالى به حتى يخرج من جميع أوامره ، وهذا مثال حذف الياء والله أعلم »(١٩) .

---

(١٥) سورة العلق من الآية ١٧ .
(١٦) سورة التوبة من الآية ١٨ .
(١٧) سورة البقرة من الآية ٢٤٧ .
(١٨) سورة عبس من الآية ٢٣ .
(١٩) شرح الشذور ص ٦٢ ، ٦٣ .

٢ ــ يقول فى موضوع المجرور للمجاورة الذى حكم بشذوذه : « وأما المعطوف فلقوله تعالى « اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم الى الكعبين »(٢٠) فى قراءة من جر (الأرجل) لمجاورته للمخفوض ، وهو (الرؤوس) وانما كان حقه النصب ، كما هو فى قراءة جماعة آخرين ، وهو (منصوب) بالعطف على الوجوه والأيدى ، وهذا قول جماعة من المفسرين والفقهاء .

وخالفهم فى ذلك المحققون ، ورأوا أن الخفض على الجوار لا يحسن فى المعطوف ، لأن حرف العطف حاجز بين الاسمين ، ومبطل للمجاورة .

نعم لا يمتنع فى القياس الخفض على الجوار فى عطف البيان ، لأنه كالنعت والتوكيد فى مجاورة المتبوع ، وينبغى امتناعه فى البدل ، لأنه فى التقدير من جملة أخرى ، فهو محجوز تقديرا . ورأى هؤلاء أن الخفض فى الآية انما هو بالعطف على لفظ الرؤوس ، فقيل : الأرجل مغسولة لا ممسوحة ، فأجابوا على ذلك بوجهين :

أحدهما : أن المسح هنا الغسل ، قال أبو على : حكى لنا من لايتهم أن أبازيد قال : المسح خفيف الغسل ، يقال : مسحت للصلاة ، وخصت الرجلان من بين سائر المغسولات باسم المسح ليقتصد فى صب الماء عليهما ، اذ كانتا مظنة للاسراف .

---

(٢٠) سورة المائدة من الآية ٦ .

والثانى : أن المراد هنا المسح على الخفين ، وجعل ذلك مسحا للرجل مجازا ، وانما حقيقته أنه مسح للخف الذى على الرجل ، والسنة بينت ذلك .

ويرجح ذلك القول ثلاثة أمور :

أحدها : أن الحمل على المجاورة حمل على شاذ ، فينبغى صون القرآن عنه .

والثانى : أنه اذا حمل على ذلك كان العطف فى الحقيقة على الوجوه والأيدى ، فيلزم الفصل بين المتعاطفين بجملة أجنبية ، وهى « وامسحوا برؤوسكم » واذا حمل على العطف على الرؤوس لم يلزم الفصل بالأجنبى ، والأصل ألا يفصل بين المتعاطفين بمفرد فضلا عن الجملة .

الثالث : أن العطف على هذا التقدير حمل على المجاور ، وعلى التقدير الأول حمل على غير المجاور ، والحمل على المجاور أولى .

فان قلت : يدل للتوجيه الأول قراءة النصب .

قلت : لا نسلم أنها عطف على الوجوه والأيدى ، بل على الجار والمجرور ، كما قال :

يسلكن فى نجد وغورا غائرا(٢١)

---

(٢١) شرح الشذور ص ٣٣١ ، ٣٣٢ .

فهذه آية من كتاب الله اتخذ منها ابن هشام مجالا للمطاولة والمناقشة ، وذكر آراء العلماء وأدلتهم ، ثم رجح ما رآه من بين تلك الآراء بالوجوه الثلاثة التى ذكرها ، ثم أورد شبهة وأجاب عنها مستشهدا ببيت من الشعر ، وفى خلال العرض ذكر القراءات المختلفة وأعرب عن منهجه الذى لا يحيد عنه من صون القرآن العظيم عن الشذوذ .

وكتاب شرح الشذور يعد بحق رائدا للدراسة التطبيقية فى النحو العربى .

رابعا ـ منهجه فى شرح جمل الزجاجى :

كتاب الجمل للزجاجى(١) من كتب النحو المهمة ، ولذلك تناوله العلماء بالشرح والتعليق .

يقول أحد الرواة عنه : « لعمرى ان كتابا عظم النفع به مع وضوح عبارته وكثرة أمثلته هو جمل الزجاجى وهو كتاب مبارك ، ما اشتغل به أحد من بلاد الاسلام الا انتفع به »(٢) .

وقال أيضا : وأخبرنى بعض فضلاء المغاربة : أن عندهم لكتاب الجمل مائة وعشرين شرحا(٣) .

وكان هدف الزجاجى من هذا المؤلف أن يقدم خدمة نافعة للناس، زد على ذلك أنه كتاب مبسط وفى لغة فصيحة سهلة ، لذلك أقبل عليه الناس ، فأصبح « كتاب المصريين ، وأهل المغرب ، وأهل الحجاز ، واليمن والشام »(٤) .

---

(١) هو عبد الرحمن بن اسحاق أبو القاسم الزجاجى النهاوندى ، تلميذ أبى اسحاق الزجاج ، قيل توفى بدمشق سنة ٣٣٧هـ ، وقيل توفى بطبرية سنة ٣٤٠هـ أو ٣٣٩هـ ينظر ترجمته فى انباه الرواة ٢/١٦٠ ، وبغية الوعاة ٢/٧٧ ، ونزهة الألبا ص ٣٧٩ واشارة التعيين ص ١٨٠، ١٨١

(٢) مقدمة شرح جمل الزجاجى لابن هشام ص ١٩ .

(٣) المرجع السابق ، وينظر المدارس النحوية لشوقى ضيف ص ٢٥٢

(٤) أنباه الرواة ٢/١٦١ .

وتناول النحاة جمل الزجاجى بالدرس والنقد والشرح ، ومن أشهر شروحه :

١ ـ شرح كتاب الجمل الزجاجى لأبى الحسن بن باشاذ حققه د/ مصطفى امام ـ رسالة دكتوراه ـ كلية اللغة العربية بالقاهرة سنة ١٩٧٣م .

٢ ـ كتاب الحال فى شرح أبيات الجمل لابن السيد البطليوسى ـ حققه د/ مصطفى امام أيضا ـ القاهرة سنة ١٩٧٩م .

٣ ـ شرح الجمل لابن هشام الأنصارى ـ حققه د/ على محسن عيسى مال الله ـ عالم الكتب سنة ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م .

٤ ـ شرح الجمل للزجاجى لابن عصفور الاشبيلى ـ حققه د/ صاحب جعفر أبو جناح صدر الجزء الأول منه فى جامعة الموصل ـ العراق ـ سنة ١٩٨٠م .

وابن هشام الأنصارى فى شرحه لجمل الزجاجى التزم منهج الزجاجى ، وسار على منواله فبدأ من (بسم الله الرحمن الرحيم) التى افتتح الزجاجى بها (باب أقسام الكلام) وطفق يعرب هذه الجملة حتى وقف على آخرها اعرابا ، ثم تناول (باب أقسام الكلام واعرابه) وبعد أن أنهى هذا الباب جاء الى (باب الاعراب) وبدأ يعربه ، وكذلك فعل فى باب معرفة علامات الاعراب .

أما الأبواب الأخرى ، فابن هشام يقدم لها شرحا موجزا ، ثم يختار أمثلة فيعربها وهذا شأنه فى كل الأبواب .

واليك بعض الأمثلة :

١ ــ يقول فى باب أقسام الكلام : « هــذا باب أقســام الكلام اعرابــه :

ها : حرف تنبيه ، وهو للمتغافل عنك المتناوم ، فكأنك قلت مكانها انتبه ، وهو للمتغافل عنك المتناوم من غفلتك .

ذا : اسم المشار اليه ، وهو رفع بالابتداء .

وباب : خبر الابتــداء .

أقسام : خفض باضافة باب اليه اضافة الجنس ، وحذفت التنوين من باب للاضافة ، وكذلك كل مضاف لا يثبت فيــه التنوين ، ولا الألف واللام التى تدخل للتعريف ، لأن التنوين ، والألف واللام ، والاضافة زوائد فى الاسم ، ولا تجتمع زيادتان ، وفتحت ألف (أقسام) لأنها ألف قطع وهى ألف جمع ، لأن أقساما جمع قسم مثل : عدل وأعدال ، وحمل وأحمال .

الكلام : خفض باضافة »(٥) .

٢ ــ يقول فى باب الفاعل والمفعول به : « الفــاعل مرفــوع ، والمفعول به ــ اذا ذكرت الفاعل منصوب ، فالفاعل فى قولــك : قام زيــد :

قام زيد : فعل وفاعل ، وفى التثنيــة قام الزيدان ، فالزيدان

---

(٥) شرح جمل الزجاجى ص ٨٥ .

فاعلان ، وعلامة رفعهما الألف وفى الجمع ، قام الزيدون ، فالزيدون فاعلون ، وعلامة رفعهم الواو ... »(٦) .

٣ ــ ويقول فى باب الاضافة : « اذا أضفت اسما الى اسم مجرور اليه ، وأعربت الأول بوجوه الاعراب ، وحذفت منــه التنوين ان كان واحدا ، وان كان مثنى أو مجموعا على حد التثنية ، حذفت الاضــافة نون التثنية ، والجمع ، وان كان المضاف نكرة ، وأضفته الى معرفة ، تعرف بالاضافة وذلك قولك : هذا غلام زيد .

هــذا : ابتداء ، وغلام : خبره ، زيــد : خفض باضافة غــلام اليــه ... الخ »(٧) .

موقفــه من الشــاهد القــرآنى :

اعتمد ابن هشام فى شرحه لجمل الزجاجى على الآيات القرآنية اعتمادا كبيرا وهــذا منهجه فى كل مؤلفاته ــ فــكان يدلل بالشاهد القرآنى على اثبات حجة نحوية ، أو وجه اعرابى والشواهد القرآنية فى هــذا الشرح تزيد على مائة وعشرين آية(٨) .

وكان يتعرض فى بعض الأحيان لتوجيه قراءة قرآنية مستدلا بها على القاعدة النحوية واليك بعض الأمثلة :

---

(٦) المرجع السابق ص ١٠٧ .
(٧) شرح جمل الزجاجى ص ٢٢٦ .
(٨) ينظر مقدمة شرح الجمل ص ٦٣ .

١ ــ قوله فى اعراب (بسم الله الرحمن الرحيم) : « فاذا جئت بعد (اسم) بغير الله مثل الرحمن ، الرحيم ، أو غيرهما من أسماء الله عز وجل لم يجز اسقاط الألف نحو قوله تعالى « اقرأ باسم ربك »(٩) بالألف »(١٠) .

٢ ــ قوله فى باب العدد : « فان كان لمؤنث حذفت الهاء من الخمسة ، فقلت : عندى خمس نسوة وحذفت الهاء ، لأن العدد لمؤنث قال الله تعالى : « سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما »(١١) »(١٢) .

٣ ــ قال فى باب الترخيم : « وتقول فى ترخيم (مالك) يا مال ، وقد قرأ بعض القراء « ونادوا يا مال ليقض علينا ربك »(١٣) »(١٤).

موقفه من الشاهد الشعرى :

أخذ الشاهد الشعرى جانبا كبيرا فى هذا الشرح بجانب الشاهد القرآنى ، مدللا به على القاعدة النحوية ومعضدا به ما ذهب اليه .

---

(٩) سورة العلق الآية الأولى .
(١٠) شرح الجمل ص ٨٣ .
(١١) سورة الحاقة الآية ٧ .
(١٢) شرح الجمل ص ٢٠٥ .
(١٣) سورة الزخرف الآية ٧٧ .
(١٤) شرح الجمل ص ٢٥١ .

وقليلا ما كان ابن هشام فينسب البيت لقائله ، ويبدأ بعد ذكر البيت فى اعرابه ، وذكر موضع الشاهد ، وتفسير بعض الكلمات الغامضة ان وجدت .

واليك بعض الأمثلة :

١ ــ قوله عند حديثه عن خبر (كان) المعرفة واسمها النكرة : « وانما يجوز هذا فى ضرورة الشعر قال الشاعر :

قفى قبل التفرق يا ضباعا ولا يك موقف منك الوداعا

اعرابه :

قفى : جزم بالأمر ، وجزمه بسقوط النون من تقفين ، والياء : علامة التأنيث ، قبل : ظرف ، التفرق : خفض بالظرف .. الخ »(١٥).

٢ ــ قال فى باب حروف الخفض : « وتقول : جئت من عليه أى من فوقه ، قال الشاعر :

غدت من عليه بعد ما تم ظمؤها
تصل وعن قيض بزيزاء مجهل

اعرابه :

غدت : فعل ماض ، والتاء : علامة التأنيث ، من : حرف خفض ، عليه : خفض بمن ، بعد : ظرف ، ما : خفض ببعد ، تم : فعل ماض ،

---

(١٥) شرح الجمل ص ١٤٠ ، ١٤١ .

وبعـــــد ،،،،

فهذه أضواء سلطتها على منهج ابن هشام الأنصارى فى الدراسات النحوية من خلال أشهر مؤلفاته وقد اتضح لنا عنايته بالشاهد القرآنى فى كل مؤلفاته النحوية ، لأن القرآن عنـــده دائما هو المصـــدر الأول للتقعيد النحوى ، وكذا عنايته بالشاهد الشعرى تأكيدا وتدعيما للشاهد القرآنى كما اتضح لنا قدرته على العرض ، ودقته فى التحليل ، فضلا عن غزارة علمه اذا تصدى لقضية نحوية ، وميله الى الرأى القوى دون تعصب لمذهب أو رأى مهما علا قـــدر صاحبه .

فقـــد كان بحق امام عصره فى النحـــو ، وخاتمـــة المحققـــين المجتهدين .

دكتور/ محمد محمد فهمى عمر